

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[27] عَلايْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ نَوعَكَ (1). وسليمان (عليه السلام) يبدأ رسالته إلى ملكة سبأ بالبسملة: (إِنَّ زَنْهَهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّ زَنْهَهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ...)(2). وانطلاقاً من هذا المبدأ تبدأ كل سور القرآن بالبسملة، كي يتحقق هدفها الأصل المتمثل بهداية البشرية نحو السعادة، ويحالفها التوفيق من البداية إلى ختام المسيرة. وتنفرد سورة التوبة بعدم بدئها بالبسملة، لأنها تبدأ بإعلان الحرب على مشركي مكة وناكثي الأيمان، وإعلان الحرب لا ينسجم مع وصف الأ بالرحمن الرحيم. * * * تجدر الإشارة إلى أن البسملة تقتصر على صيغة "بسم الأ" ولا تقول فيها: باسم الخالق أو باسم الرزاق وما شابهها من الصيغ. والسبب يعود إلى أن كلمة (الأ) - كما سيأتي - جامعة لكل أسماء الأ وصفاته. أمّا الأسماء الأخرى فتشير إلى قسم من كمالاته كالرحمة والخالقية. اتضح ممّا سبق أيضاً أن قولنا: "بِسْمِ اللَّهِ" في بداية كل عمل يعني "الاستعانة" بالأ، ويعني أيضاً "البدء" باسم الأ. وهذان المعنيان يعودان إلى أصل واحد، وإن عمد بعض المفسرين إلى التفكيك بينهما وتقدير كل واحد منهما في الكلام. فالمعنيان متلازمان، أي: أبدأ باسم الأ وأستعين بذاته المقدسة. وطبيعي أن البدء باسم الأ الذي تفوق قدرته كل قدرة، يبعث فينا القوة، والعزم، والثقة، والإندفاع، والصمود والأمل أمام الصعاب والمشاكل، والإخلاص والنزاهة في الحركة. 1 - هود، 48. 2 - النمل، 30.